

جامعة حمّة لخضر الوادي  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
شعبة التاريخ  
السنة الثالثة تاريخ عام  
مقياس تاريخ الحركة الوطنية 1919-1954  
الدكتور: عثمان زقب

الدرس الثاني: تيارات الحركة الوطنية في الجزائر 1919-1939.

تمهيد

1- تصنيف التشكيلات السياسية في الجزائر 1919-1922.

2- تيارات الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939.

(أ) تيار المساواة:

(ب) التيار الاندماجي:

(ج) التيار الاستقلالي:

(د) التيار الإصلاحية:

استنتاج

تمهيد:

كان لانعكاسات الحرب العالمية الأولى الأثر الكبير على الحياة السياسية للجزائر لفترة ما بعد الحرب خاصة إصلاحات فيفري 1919 فرغم كونها كانت تتّصف بالغموض والشكلية إلا أنها سمحت بانبعث العمل السياسي في الجزائر وبروز ما يعرف بالحركة الوطنية الجزائرية؛ مع أن العديد من الدارسين لا يعترفون بوجود عمل حزبي سياسي فعلي بالجزائر إلا مع نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات؛ مع ذلك سعى بعض المؤرخين خاصة الأجانب سيتم ذكرهم في العنصر الموالي إلى إبراز ملامح لتوجهات وتشكيلات سياسية في الجزائر منذ نهاية الحرب إلى غاية سنة 1922.

1- تصنيف التشكيلات السياسية في الجزائر 1919-1922.

قسّم المؤرخ أوغستين بيرفار هذه التشكيلات إلى:

\* الحزب المحافظ وتمثله الإقطاعية القديمة.

\* الحزب الليبرالي وتمثله النخبة الاندماجية.

\* الحزب الوطني ويعرفون بنخبة المساواة.

في حين قسّم كاتب فرنسي آخر هذه التشكيلات إلى:

\* حزب الفتيان الجزائريين "جماعة النخبة".

\* الحزب الوطني الإسلامي ويخص جماعة الأمير خالد.

\* حزب أصحاب العمائم القديمة ويعرفون بجماعة "بني وي وي".

أما المؤرخ الانجليزي وورثام فابرز وجود حزبين هما:

\* حزب الفتيان الجزائريين المعتدلين ويقصد من ذلك النخبة الاندماجية.

\* الحزب الجديد (الإصلاحية) والذي برنامجه حسب ما يقول مستمد من القرآن والفكرة الاشتراكية.

2- تيارات الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939.

يرى أبو القاسم سعد الله بأن الجزائر قد عرفت "تجربة الأحزاب والانتخابات مبكرا إذا ما قورنت بالمنطقة العربية، رغم أن ميلاد الأحزاب فيها كان عسيرا وإجراء الانتخابات كان نموذجا للتزوير، فلم تظهر الأحزاب أو بالأحرى التجمعات إلا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، مع ظهور تنظيم (الأخوة الإسلامية) للأمير خالد في الجزائر، ونجم شمال إفريقيا في فرنسا، وكلاهما كان شكلا بدائيا للحزبية، ومثلها هيئة النواب وتجمع ابن جلول وأحباب البيان في الجزائر، وحزب الشعب في فرنسا، ويمكن القول إن التنظيم الحزبي الحقيقي لم يظهر إلا على يد حزب الشعب والحزب الشيوعي ثم حزب البيان"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص11.

لم يكن في الواقع للجزائريين "أي دور في هذه الانتخابات بحيث كان لهم نواب في المجالس المحلية ولكن بالتعيين من قبل الإدارة الفرنسية نفسها بعد أن تتأكد من سيرة كل معين ومن ولائه، وأول انتخابات شارك فيها الجزائريون جرت سنة 1920 وهي التي شارك وفاز فيها الأمير خالد وقائمة من أجل مقاعد في بلدية مدينة الجزائر، فكانت هذه الانتخابات البلدية أول تجربة خاضها الجزائريون، ثم استمرت وتوسعت ولكنها ظلت دائما تجري تحت نظر الإدارة التي تنجح فيها من تشاء وتبعد عنها من تشاء إلى اندلاع الثورة، وتلك الطريقة في التدخل في الرقابة والاختيار هي التي أصبحت معروفة عند الجزائريين بالانتخابات المزورة"<sup>1</sup>.

شكلت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى كونها فترة ولادة الحركة الوطنية الجزائرية بالنظر للصراع الذي واجهته المطالب السياسية الوطنية الناشئة من قمع وصدام مع الطرف الاستعماري الفرنسي وهذا ما يفسر انبعاثها انطلاقا من المنفى والمهجر نص هذا التعبير.

### (أ) تيار المساواة:

كان يمثل هذا التيار الأمير خالد مع أنّ فكرة المساواة كانت محتواة في معظم برامج الحركة الوطنية وخطاباتها ولم تكن حركا على حركته فقط. حيث طالب بالمساواة أمام القانون وكذا تحقيق المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في الألقاب والترقيات والوظائف. وحرص على إحياء شعورهم الوطني للنضال في سبيل حقوقهم المفقودة، كما حرص على إبراز عدالة مطالب الجزائريين لدى الفرنسيين بمختلف فئاتهم ووظائفهم<sup>2</sup>.

بدأ تيار المساواة تجربته مع الأمير خالد ورفقائه، وامتدت من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى غاية منتصف العشرينات تقريبا<sup>3</sup>.

### (ب) التيار الاندماجي:

ينقسم هذا التيار فكريا حسب فكرة الاندماج إلى توجّهين مختلفين هما الليبراليين والشيوعيين حيث يختلفان من حيث المرجعية الإيديولوجية لكن توحدتهما فكرة تأييد الاندماج.

### (1) الحزب الليبرالي:

ارتبط اسمه في الواقع بجماعة النخبة ويطلق عليه عمليا فيدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين. تأسست في 11 سبتمبر 1927 في مدينة الجزائر العاصمة، خلال الفترة ما بين 1919 و1927 لم تكن هناك منظمة رسمية تمثل مصالح هذه الجماعة، فلم تكن سوى كتلة فضفاضة تمثل مصالح الجماعة<sup>4</sup>.

في الغالب فان أعضاء هذه الكتلة يتم تركيزها وترشيحها من طرف الإدارة الفرنسية لتقاطع مصالحها وثقافة هذه النخب المتفرنسة. كانت هذه الفئة ترى في التعاون مع الفرنسيين شرطا أساسيا لحل المشكلة الجزائرية في إطار الدولة الفرنسية وقوانينها. كانت تتسم بالاعتدال في مطالبها وكانت تساند فكرة الإندماج التام رغم تعارضه وهوية الجزائريين<sup>5</sup>.

كان لانقسامها بعد الحرب العالمية الأولى وانسحاب الأمير خالد منها دورا مؤثرا في فقدانها الكثير من المكاسب حيث تقوّم دورها وتراجعت شعبيتها؛ بل أصبحت أصلا محل شك الجزائريين مع أن التصاقهم بالإدارة الفرنسية لم يمنحهم الرضا المطلق بل ظلوا محل شك ولم يعيّنوا بحركتهم واعتبرت كجمعية سياسية استمرارها دون تأثير من شأنه خدمة مصالح فرنسا من خلال تعزيز فكرة فرنسا الإصلاحية والديمقراطية في الجزائر المستعمرة.

تبنى التيار الاندماجي بزعامة الدكتور ابن جلول والصيدلي فرحات عباس لكنها انتهت بالفشل الذريع لرفض الطرفين الجزائري والأوروبي لفكرة الاندماج بالنظر لتباين توجهات الطرفين<sup>6</sup>. كان الجزائريون ينظرون لفكرة التجنيس والإندماج على أنها تخلي عن هويتهم العربية والإسلامية<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> نفسه ، ص11.

<sup>2</sup> لمزيد من التفاصيل بخصوص توجهات هذه الحركة وتيار المساواة ينظر: مضمون المحاضرة الأولى للمقياس.

<sup>3</sup> بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص73.

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 351.

<sup>5</sup> نفسه، ص 352.

<sup>6</sup> بوعزيز يحي، المصدر السابق، ص73.

<sup>7</sup> نفسه، ص74.

يعتبر بن تهايمي زعيم هذه الحركة بالإضافة إلى الدكتور بن جلول وفرحات عباس حيث لعبا هاذين الأخيرين دورا بارزا خلال فترة الثلاثينات بالخصوص. عرف الحزب الليبرالي أفضل فتراته عند وصول موريس فيوليت اليساري للحكم في الجزائر سنة 1927؛ حيث اعتبر حسب اعتقادهم موالا لسياسة فرنسا الإصلاحية. عشية الحرب، إذا كان مفهوم القومية الجزائرية في الأجواء، فإنه لا يشكل بعد فكرة أساسية قادرة على تنشيط الجماهير الأصلية "في جريدته الوفاق (L'Entente)، يمكن لفرحات عباس الكتابة في 2 فيفري 1936: لو اكتشفت الأمة الجزائرية، لكنت وطنية ولن أخجل من جريمة. الرجال الذين ماتوا من أجل المثل الأعلى الوطني يتم تكريمهم واحترامهم يوميا. حياتي ليست أكثر من حياتهم. ومع ذلك لن أموت من أجل الوطن الجزائري لأن هذا الوطن غير موجود"<sup>1</sup>.

كان الحزب الليبرالي ممثلا للتيار الإدماجي الذي يرى في التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية بديلا للمساواة الكاملة مع الفرنسيين في الجزائر. نلاحظ ذلك من خلال ما ورد في مقال فرحات عباس "فرنسا هي أنا" سنة 1936 والذي أنكر من خلاله وجود وطن وكيان جزائري ومن العبارات الواردة فيه "لو كنت اكتشفت الأمة الجزائرية لغوت إنسانا وطنيا(..) لا يوجد شيء في القرآن يمنع الجزائري من أن يكون فرنسي الجنسية".

صرح فرحات عباس سنة 1936 بقوله: "أنا فرنسا، لو اكتشفت الأمة الجزائرية لسوف كنت وطنيا. ان الرجال الذين ماتوا في سبيل الفعل الأعلى لحب الوطن هم موضوع إكرام واحترام في كل يوم؛ فحياتي لا تساوي أكثر من حياتهم. ومع ذلك لا أموت من أجل الوطن الجزائري لأن هذا الوطن ليس موجود، فلم أكتشفه. ولقد طرحنا السؤال على التاريخ كما سألت الأموات والأحياء، وزرت المقابر فلا أحدا حدثني عنه"<sup>2</sup>.

رد ابن باديس على مقال فرحات عباس "فرنسا أنا" بهذه الكلمات: "إننا بحثنا في التاريخ، وفي الحاضر فشاهدنا بأن الأمة الجزائرية المسلمة قد تحولت، ووجدت مثلما تكوّنت كل أمم الأرض. إن لهذه الأمة تاريخها الذي رسمته الوقائع السامية كما لها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها، وعوائدها، وخاصياتها الجيدة منها أو السيئة على غرار كل أمة على وجه الأرض. ثم نقول بأن هذه الأمة ليست بفرنسا. ومن المستحيل أن تكون فرنسا"<sup>3</sup>.

بضع سنوات ونفس فرحات عباس اكتشف الأمة، الوطن الجزائري، ففي عام 1943 كتب في بيانه للشعب الجزائري (الذي وقع عليه الدكتور بن جلول): "الجنسية والمواطنة الجزائرية تقدم للمسلم الجزائري أكثر من الأمن. وتقدم حل أوضح وأكثر منطقية لمشكلة تطورها وتحزرها من سياسة الاستيعاب. في الانتخابات، مباشرة بعد الحرب، الغالبية العظمى من الأصوات الأصلية ذهبت إلى المرشحين الوطنيين. كيف نفسر هذا التطور السريع؟. يجب إفساح مجال كبير لفشل مشروع بلوم فيوليت (Blum-Violette)، والذي رسمياً، في عام 1937، تم فيه التخلي عن سياسة الاستيعاب. لقد فصل عنا أكثر الشعوب الأصلية مساندة لقضيتنا"<sup>4</sup>.

أما بخصوص مطالب زعماء الإدماج الليبراليين فكانت تركز على النقاط التالية:

1- إدماج الجزائريين في الحياة السياسية الفرنسية كمواطنين فرنسيين من حيث الواجبات والحقوق الكاملة دون تمييز.

2- المساواة في التمثيل النيابي والبلدي وكذا في الضرائب والحقوق والواجبات.

3- إلغاء قانون الأهالي العنصري.

4- المساواة في الخدمة العسكرية والتعليم.

**(2) الحزب الشيوعي الجزائري:**

كان الحزب الشيوعي الفرنسي من بين أكثر التيارات السياسية بالمتربول احتكاكا بالوطنيين الجزائريين حيث أسس فيدرالية تابعة له بالجزائر تحولت لاحقا في 1936 إلى الحزب الشيوعي الجزائري<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> Isnard Hildebert, op.cit, p467.

<sup>2</sup> محمود عبدون، المصدر السابق، ص 27.

<sup>3</sup> محمود عبدون، المصدر السابق ص 28.

<sup>4</sup> Isnard Hildebert, op.cit, p468.

<sup>5</sup> مصطفى او عامري، "الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية 1920-1954"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29، جوان 2016، ص ص 451-452.

ما يؤخذ على الحزب الشيوعي الجزائري والشيوعيين الجزائريين بشكل عام هو ارتباطهم إيديولوجيا وسياسيا بالشيوعية العالمية والحزب الشيوعي الفرنسي وخضوعه للاملاءات والتوجهات العامة لهذا الأخير.

إن نشاط الشيوعيين بخصوص المسألة الوطنية كان أكثر نجاحا في فرنسا رغم التناقضات التي وقعوا فيها بدليل مساهمتهم في تأسيس النجم. حيث كان هذا التكتيك بغرض جلب العمال المهاجرين والسكان المسلمين إلى كفاح البروليتاريا الفرنسية ضد الرأسمالية الفرنسية<sup>1</sup>. مع ذلك كانت ذروة نجاحهم عندما شاركوا في المؤتمر الإسلامي الأول في جوان 1936 والذي حضرته معظم التشكيلات السياسية في الجزائر ما عدا نجم شمال إفريقيا<sup>2</sup>.

تأسس الحزب الشيوعي الجزائري رسميا في أكتوبر 1936 بمبادرة من الحزب الشيوعي الفرنسي حيث صادق في مؤتمره الثامن المنعقد في جانفي 1936 على تحويل الفدرالية الجزائرية إلى حزب شيوعي جزائري تابع مباشرة إلى الأمانة الشيوعية<sup>3</sup>.

عقد مؤتمره التأسيسي بحي باب الواد في جويلية 1936، مع ذلك ظلّ على صلة بالحزب الشيوعي الفرنسي ورهينة لأطروحاته وأفكاره وتوجهاته.

كان الهدف من هذه التسمية هو إضفاء مسحة وطنية على الحزب كما سعى قاداته ان يكونوا وسطاء بين المسلمين الجزائريين وإيصال الدعاية الشيوعية لأبناء وطنهم من خلال مخاطبتهم باللغة التي يفهمونها مع الاهتمام تكتيكيا بالتاريخ الوطني الجزائري حيث اعتبر الشيوعيين الجزائريين كما ورد في بيان المؤتمر التأسيس للحزب أنفسهم جديرين بمواصلة كفاح الأبطال الوطنيين الجزائريين أمثال الأمير عبد القادر والمقراني والأمير خالد. كان غالبية المنظمين له من الموظفين والمدرسين والطلبة المتأثرين بالعقلية والثقافة الغربية حيث كانت لهم نفس التربية والعقلية التي عند الاندماجين الليبراليين<sup>4</sup>.

دخل الحزب الشيوعي الجزائري في صراع مع نجم شمال إفريقيا الذي كان يعتبره منافسا له في استقطاب وتعبئة البروليتاريا (الطبقات الكادحة) الجزائرية خاصة بعد تركيز النجم نشاطه منذ الثلاثينات وبعد المؤتمر الإسلامي 1936 في الجزائر والخطاب المؤثر لمصالي الحاج في 2 أوت 1936<sup>5</sup>.

كانت مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي رغم تطورها تحمل تناقضات بين مؤثرات موسكو وباريس مما جعله ضبابية تحاول دوما عزل الحالة الجزائرية عن التوجهات العامة للشيوعية العالمية من ذلك خطاب الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي موريس توريث (Maurice Thorez) في العاصمة الجزائرية والذي طرح خلاله نظريته حول حل المسألة الاستعمارية بالجزائر في فيفري 1939 "الجزائر امة في طور التكوين وهي خليط من عشرين جنس، يمكن تسهيل تطورها ومساعدتها بمجهود الجمهورية الفرنسية". إن هذا الرأي لا يختلف عن مواقف المدرسة الاستعمارية التي تلغي وجود الأمة الجزائرية<sup>6</sup>.

في الواقع لم يظهر الحزب الشيوعي الجزائري اهتماما واضحا بقضية الوطنيين ولا بمطالب الاستقلال بل اعتمد خطأ سياسيا قائم على المطالب الاجتماعية كتحسين معيشة السكان ورفع الأجور وتحقيق العدالة الاجتماعية والمطالبة بالمساواة بين المسلمين الجزائريين والفرنسيين في إطار الاتحاد الفرنسي حيث كان أيضا من المطالبين بالجنسية المزدوجة واعتبار كل من العربية والفرنسية لغة رسمية في الجزائر مع تشكيل برلمان فرنسي جزائري هذا بالإضافة لنشاطاته النقابية. هذا ما جعلني أصنف الحزب الشيوعي الجزائري ضمن التيار الاندماجي مع انه حمل أيضا فكرة المساواة والإصلاح فالأمر جد معقد بحكم أن برنامج الحزب يتضمن الكثير من الأفكار التي يشترك فيها مع بقية تيارات الحركة الوطني فترة ما بين الحربي العالميتين لكن حسب اعتقادي فعمله ضمن فلك الحزب الشيوعي الفرنسي وتأخر استقلاله عنه في 1936 جعل دوره ونشاطه بخصوص القضية الجزائرية يتفهم وغير واضح المعالم رغم العديد من الأفكار الايجابية التي حملوها وقيمة الأسماء التي تنتمي إلى هذا الحزب.

**(ج) التيار الاستقلالي:**

<sup>1</sup> نفسه، ص ص 455-456.

<sup>2</sup> نفسه، ص 458.

<sup>3</sup> نفسه، ص 458.

<sup>4</sup> مصطفى او عامري، المرجع السابق، ص 458.

<sup>5</sup> نفسه، ص 459.

<sup>6</sup> نفسه، ص ص 459-460.

برز التيار الاستقلالي بعد الحرب العالمية الأولى منتصف العشرينات في إطار نجم شمال إفريقيا بين أوساط العمال المهاجرين المغاربة في فرنسا حيث كان ينادي صراحة باستقلال الجزائر<sup>1</sup>.

كان يمثل هذا التيار نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري لاحقاً. حيث تأسس النجم في باريس مارس 1926 من طرف ناشطين سياسيين وعمال من المهاجرين المنتمين لشمال إفريقيا في فرنسا؛ مع أن معظمهم كانوا من الجزائريين. استفاد من الدور التوعوي الذي لعبه الأمير خالد بعد نفيه إلى فرنسا. هذا يفسر تنصيبه كرئيس شرفي لنجم شمال إفريقيا<sup>2</sup>.

إنهم في باريس يعبرون عن أنفسهم من خلال أصوات عدد قليل من السكان الأصليين المتأثرين عمومًا بالعقيدة الشيوعية والذين تم تجميعهم معاً في جمعية نجم شمال إفريقيا (L'Etoile nord-africaine)، يديرها مصالي؛ تدعي جريدتهم الأقدام، كتعبير عن مطالب الشعب الجزائري الذي "يتطلع إلى الاستقلال التام". في 7-19، أسس مصالي في نانثير حزب الشعب الجزائري، الذي تم تجنيد أعضائه من السكان الأصليين الذين يعيشون في ضواحي باريس<sup>3</sup>.

يغطي الإصدار الأخير من مذكرات مصالي الحاج حسب ما يقوله بنجامان ستورا (Stora Benjamin) "الفترة من ولادته إلى سجنه في سجن بربروس بالجزائر العاصمة، بعد وقت قصير من إنشاء حزب الشعب الجزائري (1898-1938). هذا المنشور قد جذب انتباه إن النقاد الأدبيين أو المؤرخين أو الجيل الشاب من الجزائريين يأخذون في الاعتبار خط سير الشخص الذي تجرأ من أوائل الذين استخدموا شعار حارق استقلال الجزائر"<sup>4</sup>.

عقد النجم اجتماعه الأول في 15 ماي 1926 بمقر الكنفدرالية العامة للعمال؛ ليليه اجتماع ثاني في 20 جوان 1926 والذي اقتصر على العناصر البارزة إلى حين انعقاد الاجتماع العام في 2 جويلية 1926. من أبرز الوجوه التي ترأست النجم الحاج عبد القادر وينحدر من مدينة معسكر الجزائرية. تخلى هذا الأخير عن الرئاسة سنة 1929 إلى مصالي الحاج والذي سيلتصق اسمه بالنجم وحزب الشعب الجزائري لاحقاً إلى غاية اندلاع ثورة التحري والذي سيكون له دورا بارزا في رسم معالم التيار الاستقلالي في الحركة الوطني لعقود.

سبق لمصالي الحاج أن تقلدت الأمانة العامة للنجم كما تولى أيضا الرئاسة السياسية لجريدة الأمة طيلة فترة صدورها. لاحقاً مع التحولات العديدة وتسارع الأحداث سيفقد النجم الأعضاء المغاربة والتونسيين ويصبح جزائري خالص؛ حيث كان معظم أعضائه من العمال والجنود السابقين وطلبة شمال إفريقيا المستقرين في فرنسا. تركزت أهدافه في الدفاع عن المصالح المعنوية والمادية لسكان إفريقيا الشمالية وتثقيف أعضائه وتوعيتهم.

لم يكن استقلال الأمة الجزائرية فكرة جديدة. ووجدت أول تعبير سياسي لها في فبراير 1927، خلال مؤتمر عقد في بروكسل بصوت شاب تلمساني يبلغ من العمر 29 عامًا، رئيس نجم شمال إفريقيا، مصالي الحاج. كشفت مذكراته، التي نُشرت أهم مقتطفات منها اليوم، عن نشأة الفكرة الوطنية<sup>5</sup>.

كان نجم شمال إفريقيا في تلك الحقبة بمثابة "العدو السياسي من طرف كل الأحزاب الفرنسية سواء إلى اليسار أو اليمين. ما عدا "الترتسكيون التابعون للأمة الرابعة لوحدهم يساندون كفاحنًا" حسب المناضل محمود عبدون<sup>6</sup>. يلاحظ عدم التواصل نسبياً إلى غاية 1930 بين النجم والشعب الجزائري في الوطن الأم<sup>7</sup>. ما يجب الإشارة هنا إلى التواصل الموجود بين إطارات النجم واليسار والحزب الشيوعي الفرنسي. رغم التناقضات الكبيرة بسبب تأثير المصالح القومية على احترام القيم والمبادئ خاصة ما يتعلق بالشيوعيين الفرنسيين.

<sup>1</sup> بو عزيز يحي، المصدر السابق، ص 74.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 372.

<sup>3</sup> Isnard Hildebert, op.cit, p466-467.

<sup>4</sup> Stora Benjamin, Les Mémoires de Messali Hadj : aspects du manuscrit original, In: **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, n°36, 1983. pp. 75-101, 1983.2001, p75.

<sup>5</sup> Stora Benjamin, op.cit, p75.

<sup>6</sup> محمود عبدون، المصدر السابق، ص 38.

<sup>7</sup> أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 376.

انتقل إلى الجزائر مطلع الثلاثينات ونشط من خلال تسميتين هما نجم شمال إفريقيا ولاحقا حزب الشعب الجزائري، لكن قرار حل هذا الأخير عشية الحرب العالمية الثانية فرض مع نهاية الحرب تأسيس واجهة جديدة للحزب باسم حركة انتصار الحريات والديمقراطية<sup>1</sup>.

اعتمد النجم على الصحافة كوسيلة لنشر أفكاره وتوجهاته حيث كانت وسيلة فعّالة داخل فرنسا وبالجزائر. حيث أعاد النجم إحياء صحيفة الإقدام باسم جديد "الإقدام الباريسي" حيث منعت فرنسا صدورها في 1 فيفري 1927. فأسس النجم الإقدام الشمال إفريقي<sup>2</sup>. كما أسس جريدة الأمة في 1929 حيث تضمن عنوانها الفرعي العربي "جريدة وطنية وسياسية للدفاع عن حقوق مسلمي إفريقيا الشمالية"، حيث كانت واجهته الدعائية ومن أهم مصادره المالية<sup>3</sup>.

حاول النجم في ظل سياسة الحصار الاستعماري أن يعبر عن اتجاهه الوطني الاستقلالي؛ خاصة من خلال مشاركته في مؤتمر بروكسل "بلجيكا" خلال الفترة ما بين 10-15 فيفري 1927، والذي نظمته الجمعية المعادية للاضطهاد الاستعماري وحضرته وفود من إفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا. لقد كان المؤتمر يشكل فرصة مواتية للنجم لإعلان مطالب الجزائريين في هذا التجمع العالمي من خلال ممثلة مصالي الحاج. ويمكن حصر هذه المطالب والتي تمثل برنامجه السياسي كما ورد نشرها في جريدة "الراية الحمراء الناطقة بالعربية والتي كانت تصدر عن الحزب الشيوعي الفرنسي.

1- الاستقلال الكامل للجزائر.

2- جلاء الجيش الفرنسي.

3- إنشاء جيش وطني.

4- مصادرة الأملاك الزراعية الكبيرة للمعمرين والشركات الإقطاعية.

5- احترام الممتلكات المتوسطة والصغيرة للفرنسيين.

6- إرجاع الأراضي والغابات التي أخذتها الدولة الفرنسية إلى الجزائر.

7- الإلغاء الفوري لقانون الأهالي وجميع القوانين الاستثنائية الأخرى.

8- العفو العام عن الجزائريين الذين كانوا سجناء أو نفوا أو كانوا يعيشون تحت الرقابة الفرنسية.

9- حرية الصحافة والاجتماع والتجمع ومنح الحقوق السياسية والنقابية كتلك التي منحت للفرنسيين في الجزائر.

10- إحلال مجلس وطني جزائري منتخب بطريقة التصويت العام محل المجلس الحالي.

11- إنشاء مجالس بلدية منتخبة بطريقة التصويت العام.

12- حق الجزائريين في التمتع بجميع مستويات التعليم.

13- خلق المدارس العربية.

14- تطبيق جميع القوانين الاجتماعية الفرنسية على الجزائر.

15- زيادة القروض الفلاحية إلى الفلاحين الجزائريين الصغار<sup>4</sup>.

نظرا لمواقف النجم الجريئة كان يتعرض للقمع والتضييق والمضايقات من طرف الفرنسيين خاصة صحفه؛ واتهام زعمائه بشتى التهم؛ حيث كتبت ضمن هذا السياق مجلة إفريقيا الفرنسية سنة 1928 تقول: "إن النجم كان جماعة من الدعاة الثوريين الذين يأخذون تعليماتهم من الحزب الشيوعي الفرنسي"<sup>5</sup>.

لقد ضاعف النجم من نشاطه أثناء تحضير الفرنسيين لاحتفالية مئوية احتلال الجزائر في 1930 حيث هاجم الامبريالية الفرنسية والمولين لها من الجزائريين؛ هذا ما أدى إلى إصدار قرار بمحكمة السين يقضي بحل النجم في 20 نوفمبر 1929، وهذا ما ساهم في اضطهاد زعمائه ومنع جريدته من الصدور<sup>6</sup>.

إن قرار الحل لم يمنع النجم من النشاط في السرية والظهور بواجهات تمويلية عديدة. من ذلك اعتماده تسمية نجم شمال إفريقيا المجيد<sup>7</sup> بعد مؤتمر الجمعية العامة في 28 ماي 1933 والذي تمّ خلاله تجديد سياسته وإعادة

<sup>1</sup> بوعزيز يحي، المصدر السابق، ص 74.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 373.

<sup>3</sup> نفسه، ص 374.

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص ص 378-379.

<sup>5</sup> نفسه، ص ص 378-377.

<sup>6</sup> نفسه، ص ص 381-382.

<sup>7</sup> نفسه، ص 383

هيكلته مع صياغة برنامجه الجديد؛ ثم الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا في 6 فيفري 1935 حيث تم إيداع قانونه الأساسي بتاريخ 27 فيفري 1935 وواصل الحزب العمل بهذه التسمية إلى غاية إطلاق سراح مصالي الحاج في فاتح ماي 1935.

في 14 ماي 1935 حاكمت فرنسا مصالي الحاج ورفاقه بتهمة إنشاء منظمة سرية غير قانونية وحكم عليه بسنة سجن وغرامة مالية وستة أشهر لرفقائه وغرامة مالية، غير انه تمكن من الفرار إلى سويسرا حيث التقى بشخصية شكيب ارسلان هناك بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي الأوروبي في شهر سبتمبر 1936.

نظرا لوصول الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا صدر قرار بالعفو عن جميع السياسيين ففتح بذلك الباب من جديد للحزب؛ في 4 جويلية 1935 أعيد النظر في قرار الحل بإلغائه وسمح للنجم بالنشاط مجددا وبأكثر فاعلية. كان حزب الترتسكيون التابعون للأمم المتحدة الرابعة لسوء الحظ حسب محمود عبدون "متكوّنا من مناضلين قلائل بحيث فاعليته حينئذ لم يكن لها أي تأثير على الأوروبيين. وجريرتهم التي تصدر بصفة عادية تمنح مكانا واضحا لدعايتنا. وهناك فوج صغير، الذي يحمل اسم "الجنة اليقظة ضد الفاشستية" والذي يسيّره (سوستال وهو الذي فيما بعد يكون الحاكم العام بالجزائر) قد كان يقيم علاقات حسنة مع الحزب. وخلافا لذلك كان الحزب الشيوعي الفرنسي يوهم بالفكرة التي تتهمنا بأننا من أنصار (هتلر) الذين يخضعون لأوامر (برلين). أما الحزب الاشتراكي فيما يخصه فإنه يجهلنا، واليمين يصفنا بالشيوعيين"<sup>1</sup>.

في سنة 1936 سمح لمصالي الحاج بالعودة إلى نشاطه السياسي فدخل الجزائر وكان له مواقف من المؤتمر الإسلامي 1936 الذي شاركت فيه الأحزاب الجزائرية كمعارض لمشروع بلوم فيوليت الإدماجي؛ هذا ما دفع حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية اليسارية وبالتواطؤ مع الحاكم العام في الجزائر إلى إصدار قرارها بحل نجم شمال إفريقيا نهائيا في 26 جانفي 1937. هذا الاجراء لم يمنع مصالي في نانثير من تأسيس حزب الشعب الجزائري، الذي تم تجنيد أعضائه من الأهالي المسلمين الذين يعيشون في ضواحي باريس<sup>2</sup>. وهكذا واصل مصالي الحاج نشاطه السياسي من خلال تأسيسه لواجهة سياسية جديدة باسم "حزب الشعب الجزائري" في 11 مارس 1937؛ حيث أن هذا الحزب لم يختلف في أسلوبه ومواقفه وتوجهاته عن النجم؛ حتى أن مصالي الحاج أقدم في 14 جويلية 1937 على تنظيم مظاهرة شعبية في العاصمة الجزائرية؛ رفع خلالها العلم الوطني.

كما قام مصالي الحاج أيضا بزيارة للغرب الجزائري ألقى خلالها خطابا عنيفا هاجم خلاله الشيوعيين الذين حاولوا إفساد زيارته لتتطور الأحداث لاحقا إلى توقيفه في 27 أوت 1937 بتهمة إعادة منظمة منحلة والمس بأمن الدولة وحكم عليه بسنتين. في هذه الظروف أصدر مساجين حزب الشعب جريدة البرلمان الجزائري والتي كانت تحرر وتسير من داخل سجن الحراش وتطبع وتوزع خارجه<sup>3</sup>، حيث صدر أول عدد منها في 18 ماي 1939 وكانت جريدة نصف شهرية وطنية دافعت عن حقوق الجزائريين. في 27 أوت 1939 خرج مصالي الحاج من السجن مواصلا نشاطه الوطني.

عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى قررت فرنسا حل حزب الشعب الجزائري في 26 سبتمبر 1939 وإلقاء القبض على زعيمه مصالي الحاج ومنع صحيفتيه الأمة والبرلمان الجزائري من الصدور. كما حكم عليه في 28 مارس 1940 بالأشغال الشاقة لمدة 16 سنة؛ لكن في 24 افريل 1940 أطلق سراحه ووضع تحت الإقامة الجبرية والمراقبة بمنطقة قصر البخاري، ولم ترفع عليه الإجراءات العقابية بشكل نهائي سوى بعد نهاية الحرب في سنة 1946.

#### (د)التيار الإصلاحية:

يمثله في الواقع مع بداية العشرينات حركة الأمير خالد التي حملت أفكارا إصلاحية نادت بالمساواة والدفاع عن هوية الجزائريين العربية والمسلمة. ثم مشعل الإصلاح فيما بعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في نادي الترقى بالجزائر العاصمة في شهر ماي 1931.

بدأ التيار الإصلاحية نشاطه في نادي الترقى أواخر العشرينات، ليتوج بتأسيس جمعية العلماء المسلمين بداية الثلاثينات. تركزت مطالبها على إحداث وعي ويقظة لدى الجزائريين ضمن عناصر الهوية العربية المسلمة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمود عبدون، المصدر السابق، ص 38.

<sup>2</sup> Isnard Hildebert, op.cit, p467.

<sup>3</sup> محمد الطيب العلوي، المصدر السابق، ص 184-185.

<sup>4</sup> بوعزيز يحي، المصدر السابق، ص 74.

ترجع جذور تأسيس جمعية العلماء المسلمين إلى 1924 عندما نوقشت كفكرة من طرف الشيخ بن باديس عند زيارته للبشير الإبراهيمي في مدينة سطيف حيث طرحا الرجلان فكرة تأسيس جمعية باسم "الإخاء العلمي" يكون مركزها العام في قسنطينة. لكن هذا المشروع لم يتحقق لعدم نضج الاستعداد الكافي لها<sup>1</sup>.  
قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بحملة توعية وتهيئة للنفوس في المساجد وعبر الصحافة والنوادي لمدة ستة سنوات. من خلال أعمدة الصحف كجريدة المنتقد منذ جويلية 1925 قبل منعها من طرف الفرنسيين في نوفمبر 1925. أو من خلال جريدة الشهاب. كما أسس أنصار الإصلاح نادي الترقى بالجزائر العاصمة في 1927؛ كما أسس العلماء جمعيتين في قسنطينة الأولى باسم الجمعية الخيرية الإسلامية والثانية باسم جمعية النيابة العربية.  
**حسب اسنار الدبير (Isnard Hildebert) "يمكن قول الشيء نفسه عن تأثير العلماء (..) أن الأمة المضطهدة ستبعث من الموت إذا حافظت بغيره على دينها ولغتها. لذلك فإنهم شاركوا في تنقية ونشر كليهما. بالقلم والكلمة، سعوا جاهدين للتخلص من سلبية الجماهير وإعادة التثقيف بشكل منهجي (..) الكبرياء الوطني الذي خنقه قرون طويلة من المحو". حركة تاريخية تتطور. في عام 1928 نشر الميلي "تاريخ الجزائر في العصور القديمة واليوم"<sup>2</sup>.**

كان لاحتفالية مئوية احتلال الجزائر دورا في توفير الظروف المواتية لتأسيسها في 1931<sup>3</sup> حيث ترأسها الشيخ بن باديس وجاء في قانونها الأساسي بان القصد من تأسيسها محاربة الآفات الاجتماعية؛ مما يسمح بفتح مجال واسع لعملها من خلال الحرية في تفسير النص وبالتالي توسيع عملها ومراوغة السلطات الاستعمارية. فهي إذا جمعية تربوية تهييئة اجتماعية بأهداف مبطنة. كما سعت الجمعية من الناحية السياسية إلى توعية المجتمع من مفاصد البدع والخرافات بتعريفه بمبادئ الإسلام الصحيح كما حاربت فكرة الإدماج. اهتمت بالتعليم ومنحته أولوية ضمن نشاطها وبرامجها فبنت المدارس وأرسلت البعثات للزيتونة. كما حاولت ترسيخ مهمة المسجد، واعتمدت على الصحافة كأداة دعائية وتوعية.

عندما أصبح الخطاب التاريخي الاستعماري يشكل تهديدا لمكونات الهوية الوطنية الجزائرية من خلال ترويجه للكثير من المغالطات والتزييف، برزت أولى الكتابات الجزائرية كرد فعل عن المدرسة التاريخية الاستعمارية، وكانت أوائل هذه الأقسام خلال فترة ما بين الحربين العالميتين ممثلة أساسا في بعض رجال الحركة الإصلاحية مثل مبارك الميلي (1880-1945) والذي ألف كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، حيث يعلق عليه شيخ الجمعية عبد الحميد بن باديس بقوله أنه: " أول كتاب صور الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية"<sup>4</sup>.

كما يصف الباحث أحمد عبيد بزوغ هذه الكتابات التاريخية الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى بقوله: "وعلى أكتاف رجال الإصلاح من قبيل مبارك الميلي وتوفيق المدني، إذ حاول هؤلاء كتابة تاريخ يشمل كل الحقب من العهد الفينيقي- البربري القديم إلى غاية الفترة المعاصرة، مع تفضيل الارتباط بالشرق الإسلامي والطابع المغربي-الإسلامي للجزائر، رداً على الإيديولوجية الاستعمارية التي اجتهدت في إيجاد أسباب الوجود الفرنسي، بإبراز الفترة الرومانية مع خصائصها اللاتينية والمسيحية، على حساب الفترات البربرية-العربية والعثمانية "كعهود غابرة" (E.F Gautier) من الفوضى والاستبداد والانحطاط"<sup>5</sup>. كما كتبت الإعلامية حورية صياد تقريرا عن محاضرة المؤرخ الجزائري محمد حربي، التي نشطها في 19 أفريل 2016 بالمركز الثقافي الفرنسي، والتي تحمل عنوان " كتابة التاريخ والذاكرة " ونظرا لأهميته ارتأيت أن أقتطف منه بعض الفقرات حيث أن ممّا قاله فيها "أن نشاط جمعية العلماء المسلمين أمثال توفيق المدني ومبارك الميلي، من الأوائل الذين ساهموا في الكتابة عن التاريخ الجزائري، عملوا من خلالها على محاولة تجسيد فكرة وجود وطن جزائري وانتماؤه إلى الحضارة العربية الإسلامية، وهو ما اتضح في قوله "إن المؤلفات التاريخية التي تمت كتابتها أثناء

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 387

<sup>2</sup> Isnard Hildebert, op.cit, p467.

<sup>3</sup> محمد الطيب العلوي، المصدر السابق، ص107.

<sup>4</sup> محمد بن ساعو، "مسيرة الكتابة التاريخية في الجزائر بين أثقل التقديس ونزعات التسييس وترسبات الكولونيالية"، ذوات **the what**، مجلة ثقافية إلكترونية تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، العدد 36، 2017، الموقع الإلكتروني <http://thewhatnews.net>، ص ص 29-30.

<sup>5</sup> أحمد عبيد، "التاريخ الجزائري: تقييم ونقد حالة الجزائر العثمانية"، إنسانيات، عدد 47-48، جانفي-جوان 2010، ص 59.



الحقبة الاستعمارية تبرز انتماء الأمة إلى حضارة وهو ما يؤكد تمسكها بالذاكرة العربية الإسلامية<sup>1</sup>. تعرضت جمعية العلماء المسلمين للتضييق والمراقبة مع تعطيل صحفها واعتقال قادتها وفرض الإقامة الجبرية والبعض منهم. حيث يقول الشيخ بن باديس: "لقد لقيت هذه الجمعية الإصلاحية من الحكومة العنت والبلاء".

#### استنتاج:

لقد تباينت تيارات الحركة الوطنية بمختلف مشاربها وتوجهاتها الفكرية والسياسية، وكذا الوسائل والأساليب التي انتهجتها بغية تحقيق أهدافها، والتي بدورها اختلفت رغم كونها ارتبطت بمعالجة المشكلة الجزائرية. كما نشطت في ظل وضع استعماري صعب فرض قيودا كثيرة عليها؛ أما علاقاتها فكانت بين التوافق والتنافس وأحيانا المواجهة فيما بينها بتحريض من إدارة الاحتلال التي عرفت كيف تسير العملية السياسية بما لا يضر بمصالح فرنسا في الجزائر.

---

<sup>1</sup> حورية صياد، حربي يدعو إلى ضرورة إعادة النظر في الكتابات التاريخية الجزائرية، الموقع الإلكتروني لجريدة الفجر <http://www.al-fadjr.com/>، الخميس 21 أبريل 2016 .